الإسلام واللغة العربية فى دول الطراز الإسلامى

خلال العصور الوسطى

د/ غيثان بن على بن جريس*

لعبت الهجرات العربية الإسلامية إلى شرق أفريقية دورًا هامًا فى تشكيل تاريخ تلك المنطقة اقتصاديًا وسياسيًا ودينيًا . ذلك أن الإمارات والمراكز التى أنشأها العرب المسلمون فى كل من بلاد الحبشة والصومال أسهمت إسهامًا إيجابيًا فى نقل الحضارة والفكر الإسلامى إلى الساحل الأفريقى ، ومن ثم إلى الداخل(١).

ولم تكن سواحل الحبشة والصومال مجهولة لدى العالم الخارجى منذ أقدم العصور ، فقد كشفت البحوث التاريخية والأثرية عن صلات قديمة ومستمرة بين أهالى هذه السواحل وشعوب العالم الأخرى ، ليس فقط الشعوب القريبة جغرافيًا، ولكن أيضًا الشعوب البعيدة مثل الهنود والصينيين . ومن خلال اشتغال العرب بالدراسات الجغرافية والفلكية والطبيعية والتجارية ، عرفوا الساحل الأفريقى . ومن أشهر الرواد العرب الذين تحدثوا عن الساحل الشرقى لأفريقية من الناحيتين العلمية والنظرية : المسعودى وابن حوقل والإدريسى وياقوت الحموى وابن بطوطة والقلقشندى والمقريزى وأبو الفداء وغيرهم(٢).

يضاف إلى ذلك تقدم العرب فى فنون الملاحة وما يقتضيه من معارف ، أهمها معرفة الطرق البحرية الآمنة ، ونظام سير الرياح ومواقيتها ومواقع البلاد والجزر ، ووقوفهم على الآلات التى ساعدتهم على الملاحة مثل البوصلة والإبرة المغناطيسية فضلاً عن رسم الخرائط ، وكل ذلك أدى إلى تسهيل الروابط مع شرق أفريقية . والعرب الذين اشتهروا بصناعة السفن هم عرب الجنوب فى الجزيرة

(*) أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك - كلية التربية - جامعة الملك سعود - فرع أبها .

العربية ، ولا سيما عرب عمان . وقد عرف عرب عمان بمهارتهم فى صناعة السفن وتفوقهم فى أعمال الملاحة ، وسارت سفنهم فى المحيط الهندى حتى وصلت سواحل شرق أفريقية(٣) .

والثابت أن العرب كانوا أهم الشعوب التى اتصلت ببلاد الحبشة والصومال منذ القدم ، وأبقاهم أثرًا فى تلك البقعة من القارة . وساعد على ذلك عامل القرب الجغرافى ، وقد نشطوا فى الاتصال بأثيوبيا والصومال منذ زمن دول معين وسبأ وحمير التى كان لها نشاط كبير فى الحركة التجارية البرية والبحرية ، وتمكنت من السيطرة على تجارة العالم القديم فى المحيط الهندى وسواحل أفريقية الشرقية . كذلك كان لعرب الحجاز دور كبير فى الاتصال والتجارة ، وقد سيطروا سيطرة تامة على التجارة وطرق القوافل بعد تدهور دول الجنوب منذ القرن السادس الميلادى(٤) .

ثم كان أن قامت الدعوة للدين الإسلامى فى أثيوبيا منذ ظهوره ، ويمكن أن يؤرخ لدخول الإسلام فى أثيوبيا بهجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ، وخاصة بعد أن أظهر النجاشى أرماح (أصحمة) اعتناقه للإسلام . وقد تدفقت على أثر ذلك مجموعات ضخمة من دعاة الإسلام من عرب وغيرهم لإنشاء مراكز عربية ثابتة ، ونشر الإسلام بين القبائل التى كان من أهمها : الصوماليون والأحباش والدناقل والجالا والبجة والبانتو ، فضلاً عن الاريتريين وغيرهم . وكثر توافد المسلمين بعد ذلك للأهداف التجارية بعد أن دانت لهم بلاد العرب ، وأصبحوا يتحكمون فى طرق القوافل داخل الجزيرة العربية ولا سيما بين عدن وصنعاء ، كما أسهموا بنشاط كبير فى التجارة الشرقية بين مصر والهند عن طريق البحر الأحمر . وعبرت مجموعات قليلة من تجار العرب إلى الساحل الغربى للبحر الأحمر، كما اخترق عدد من هؤلاء الحدود الحبشية وأسسوا لهم مراكز استقرار بالتدريج ،

بـل إن العـرب المسـلمين استطاعوا بنشـاطهم أن يتحكمـوا فـى مينـاء عدوليـس (Adulis) وهو ثغر الحبشة وميناؤها العظيم(٥) .

وكانت مملكة أكسوم الحبشية فى ذلك الوقت فـى طريقهـا إلى الإنحطـاط . وفى الوقت نفسه كان الإسـلام يتقـدم بخطـى واسـعة مـن السـاحل إلى الداخـل ، حيث بدأ المسلمون فى الإمـتزاج بـالوطنيين وصـاهروهم ، فـأخذ الإسـلام ينتشـر تدريجيًا ، فأعتنقته عناصر الساهو والعفـر فـى شـرقى الحبشـة ، كمـا أنـه امتـد إلى المناطق السيدامو وشوا الشرقية فى الجنوب من الحبشة(٦) .

كذلك انتشر المسلمون شمالاً فى ارتيريـا ومنظمـة البجـة ، وشـجعهم علـى ذلـك غنـى تلـك المنـاطق بمعـادن الذهـب والزمـرد والفضـة والنحـاس والرصـاص والحديد . وقد تزايد عدد المسلمين فى الحبشـة واريتريـا ومنطقـة البجـة ، وأشـهر القبائل العربية التى استقرت فى هذه المناطق قوم من ربيعة وقحطان ، إلا أن قبـائل ربيعه كانت أقوى العناصر ، حتى سادت وغلبـت علـى مـا جاورهـا مـن العـرب القحطانيين(٧) .

وهكذا امتدت الرقعة الإسلامية على طـول منطقـة القـرن الأفريقـى ، وفـى داخلهـا حتـى منطقـة وادى النيـل الجنوبـى والأوسـط ، حيـث قـامت مشـيخات إسلامية فى فترة التوسع الإسلامى البارزة التى تقع ما بين القرنين الرابـع والسـادس الهجريين (العاشر والثانى عشر الميلاديين) ، وهى فترة التوسـع المنظمـة للإسـلام دينًا ودولة ، من ناحية نشر العقيدة الإسلامية عن طريـق الدعـوة الهادئـة بالحكمـة والموعظة الحسنة ، وتدعيم سلطان الممالك والمشيخات الإسـلامية داخـل البـلاد ، على حساب مملكة أكسوم الحبشية المتداعية . وقد تحولت كـل منطقـة نهـر جوبـا للإسلام ، وامتدت الرقعة الإسلامية حتى منطقة البحيرات العظمى وذلك فى عـام (٥٠٢هـ / ١١٠٨م)(٨) .

وقد تلا ذلك قيام المشيخات الإسلامية التى سبقت الإشارة إليها مثل عـدال وهرر وهوبات ، والتى لم تعمر طويلاً نظـرًا للخلافـات التـى قـامت فيمـا بينهـا ، فضلاً عن أن عنايتها كانت منصبة على شئون التجارة ، ولا سيما تجـارة الرقيـق ، ثم تلا ذلك قيام ممالك إسلامية قوية ومزدهرة ، أصبحت تحيـط بالحبشـة مـن كـل جانب ، وغدت هذه الممالك الإسلامية تسيطر على كل الرقعة الإسـلامية الممتـدة من سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندى ، وأجزاء من أفريقية الشـرقية ممتـدة علـى الساحل إلى الداخل الأفريقى . وبفضل هذا الوضع الجغرافى الممتاز أصبحت تحيـط بالحبشة مـن الناحيـة الشـرقية وتقـابل اليمـن فـى الجزيـرة العربيـة ، ولذلـك نعتهـا المؤرخون بمنطقة الطراز الإسلامى ، لأنها على جانب البحر كالطراز له(٩) .

وقد اشتهر فى هذا الطراز إمارات سبع أو ممـالك ، هـى **أوفـات ، دوارو، أرابينـى ، هديـة ، شـرخا ، بـالى ، وداره**(١٠) وهـذا عـدا مشـيخات السـاحل الصومالى التى امتدت على طول الساحل المعروف بساحل الزنج(١١) . وقد أفردنا لمملكة أوفات الإسلامية حيزًا خاصًا فى مقالين مختلفين(١٢) .

والملاحـظ أن تكويـن هـذه الممـالك اتسـم بالطـابع السـلمى التجـارى أو الاقتصادى بصفة عامة ، هذا فضلاً عن أن هذه الممالك ارتبطت بالعالم الإسلامى، وتوطدت صلتها به عن طريق التجارة والحج وانتقـال طـلاب العلـم للدراسـة فـى مكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق والقاهرة . وصار لرواد الثقافة الإسلامية أروقة خاصة بهذه المراكز ،فهناك رواق أهل الزيلع بالمسجد الأموى بدمشـق ، وكذلـك أفرد رواق لهؤلاء بالأزهر يعرف برواق الجبرتية(١٣) .

ثم إن هذه الممالك التى أمها المسلمون لقرون عديـدة ظلـت مراكـز نشـاط ومدنية ، وارتكزت شهرتها على أنها وسيطة بين عواصم العالم الإسلامى الكـبرى وبقية أجزاء أفريقية المجاورة فى نقل الفكر والثقافة الإسلامية .

ومن ناحية أخرى فقد تطورت هذه الممالك الإسلامية بفضل تجمع العلمـاء والفقهاء الذيـن وفـدوا إليهـا مـن مكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة ودمشـق وبغـداد والقاهرة ، فظلت الصبغة العربية هى البـارزة والمـميزة فـى منطقـة القـرن الإفريقـى خلال فترة العصور الوسطى . وأسهم العرب فـى هـذه البـلاد بـالآداب والعـادات التى اتصفوا بها ، وظلت الثقافة العربية تشـع وتنتشـر حتـى بعـد انكمـاش النفـوذ العربى الإسلامى فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع الميلادى) . وكـان أعـلام المسلمين فى هـذه البـلاد يفكـرون بالعقليـة العربيـة الإسـلامية ، ويكتبـون باللغـة العربية ، وهـم فى إنتاجهم ونشاطهم إنما يعبرون عن حضارة عربية إسلامية سادت منطقة الطراز الإسلامى ردحًا من الزمن(١٤) .

وعلى الرغم من أن المجتمع الإسلامى فى بـلاد القـرن الأفريقـى يتكـون مـن أجناس متعددة ، وأمم مختلفة فى صفاتها وعاداتها وثقافاتها ، فإنهـا بعـد إسـلامها وبسببه أخذت تنصهر جميعًا فـى بوتقـة الحضـارة الإسـلامية فـى ظـل رعايـة دول الطراز الإسلامى وكنفها ؛ لأن الدين الإسلامى عامل هـام مـن عوامـل الانسـجام بين الشعوب التى تدين به ، والدين الإسلامى فضلاً عن أنه عقيـدة ، فإنـه كذلـك نظام اجتماعى كامل ، ومجموعة من الأخـلاق والقواعـد والأنظمـة التـى يسـتطيع الناس أن يعيشوا بمقتضاها(١٥) .

١ – سلطنة أوفات :

كانت سلطنة أوفات أقوى سلطنة إسلامية قامت فى الحبشة بسبب تحكمها فى الطريق التجارى الذى يربط الداخل بميناء زيلع . وقد أسسـها قـوم مـن قريـش من بنى عبد الدار أو من بنى هاشم من ولد عقيل بن أبى طالب ، قـدم أولهـم مـن الحجاز واستوطنوا مدينة أوفات . وقد اشتهرت جماعة منهم بالصلاح ، وظهر من بينهم رجل يسمى عمر ويلقب " ولشمع " حكم مدينة أوفات وأعمالهـا واعـترف بسلطان النجاشى . ولم يتضح تاريخ أوفات إلا فى حـوالى (٧٠٠هـ / ١٣٠٠م)

حين أورث عمر هذه المملكة لأولاده الأربعة أو الخمسة الذين تولوا عرشها واحدًا بعد آخر ، وذلك بموافقة ملك الحبشة . ومع ذلك فإن سلطنة أوفات هى التى تزعمت حركة الجهاد ضد الحبشة ، وقامت مع غيرها من دول الطراز الإسلامى بدور كبير فى نشر الإسلام والثقافة الإسلامية(١٦) .

٢ – سلطنة بالى :

تقع جنوبى سلطنة دارة ، ويحدها شمالاً نهر ويبى ، ومن الجنوب نهر حرانا إلى دوريا ، وبهذا الوضع تتحكم فى وادى الصومال . والعنصر الغالب على سكانها عنصر السيداما ، ويسكن جنوبه فريق من عنصر الجالا . وتعتبر هذه السلطنة أكثر بلاد الزيلع خصوبة ، وتختلف عن شقيقاتها الإسلامية فى أن الملك لم يظل كغيرها ، محفوظًا فى أسرة معينة ، بل حدث فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) أن انتقل الحكم إلى رجل ليس من بيوت الملك ، وذلك بمساعدة ملك الحبشة(١٧) . وفى سائر المظاهر تقترب هذه السلطنة من بقية السلطنات وتسير المعاملة فيها بالتبادل ، وأهلها على المذهب الحنفى(١٨) .

٣ – سلطنة هدية :

تقع إلى الغرب من دول الطراز الإسلامى وتجاور أرابينى ، وتشغل مساحة واسعة بين نهرى هواش وجيبى ، وليست حدودها معروفة بدقة شأنها شأن باقى الولايات الإسلامية وتتكون من (١٨) مقاطعات(١٩) ، وبرغم أنها دون أوفات فى المساحة والامكانيات ، فإنها أقوى الممالك السبع وأكثرها خيلاً ورجالاً ، ويقال إن عدد جنودها بلغ نحوًا من (٤٠) ألف فارس سوى الرجالة الذين يبلغون ضعف هذا العدد تقريبًا . ومع أن الطبقة الحاكمة فيها إسلامية ، فإن أغلب رعاياها كانوا على الوثنية ، وهؤلاء الرعايا من السيداما والجوارجى والشابو ، وهذا الأخير خليط من العنصرين الأولين(٢٠) .

وتقترن شهرة هدية بتجارة الخصيان الذين يجلبون إليها وهؤلاء يعرفـون فـى مصر باسم الطواشية . وقد حظر ملـك الحبشـة هـذه العلميـة الوحشـية ، غـير أن اللصوص ما فتئوا يسطون على العبيد ويأتون بهم إلى بلدة وشلو القريبة من هدية . وسكان وشلو هذه همج متخلفـون ، يخصـى العبيـد عندهـم لدرايتهـم بـالخصى ، وهذا أمر يهتم به التجار النخاسة ، إذ إن الخصى أرفع ثمنًا مـن غـيره . وبعـد إتمـام عملية الخصى يحمل هؤلاء إلى هدية حيث يعـالجون مـرة أخـرى حتـى يـبرأوا مـن الجراحة التى أجريت لهم ، ولأهل هدية دراية بعملية العلاج والتطبيب . ومع ذلك فإن العدد الذى يموت من الخصيان بسبب هذه العملية أكثر مـن الـذى تكتـب لـه الحياة ليباع مصدرًا من هدية(٢١) .

٤ – سلطنة دارة :

تقع على حدود أوفات العربية وشمال شـرقى هديـة فـى منطقـة السـيداما . وتعد أضعف إخواتها حالاً ، وأقلها خيلاً ورجالاً ، ولكنها تستطيع أن تقيم جيشًا يعادل فى قوته جيش أوفات إذ عنيت بهذه الناحية.ولا تختلف كثيرًا عن غيرها من الإمارات الإسلامية، فأهلها مسلمون على المذهب الحنفىومعاملتها بالمبادلة(٢٢).

٥ – الإمارات الإسلامية الأخرى :

أما الإمارات الإسلامية الأخرى : دوارو وأرابينى وشـرخًا ، فهـى إمـارات صغيرة قليلة الأهمية ، ولم يذكر عنها سوى أن أهلها مسلمون أحناف ، وأن عـدة عساكر الأولى تقرب من قوة أوفات فى الفـارس والراجـل ، وفرسـان الثانيـة نحـو عشرة آلاف غير الرجالة ، بينما لا تتجاوز قوة الأخيرة ثلاثـة آلاف فـارس سـوى الرجالة(٢٣) .

* * *

ولم تكن هنـاك سـيادة عامـة مستمرة لإحـدى تلـك الـدول التـى عرفـت بالطراز ، وإنما وجدت سيادات مؤقتة فى بعض الفترات ، تحققت عن طريق القـوة

أو الدبلوماسية أو المصاهرات . وكانت فى معظم الأحيان مستقلة داخليًا وتدفع الجزية أحيانًا كثيرة ، وذلك عندما تنضوى تحت لواء سلطنة أوفات أكبر دول الطراز الإسلامى فى منطقة القرن الأفريقى خلال فترة العصور الوسطى(٢٤) .

ويعنينا أنها أسهمت إسهامًا إيجابيًا فى نقل الحضارة والفكر الإسلامى والعربى فى منطقة القرن الأفريقى وفى داخل بلاد أثيوبيا أو الحبشة . هذا بالإضافة إلى الدور الذى لعبته فى تاريخ المنطقة اقتصاديًا وسياسيًا واجتماعيًا ، فاستمر تيار الحضارة الإسلامية فى تلك المنطقة فى الانتشار والازدهار حتى بلغ أقصى مداه فى نهاية القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ، وذلك فى زمن المجاهد الإسلامى الكبير أحمد الجران (أحمد بن جرا) ، عندما أشتدت الدعوة لمناهضة النصرانية ونشر الإسلام واللغة العربية فى هذه البلاد(٢٥) .

ومن الثابت أن الدعوة الإسلامية فى بلاد الطراز الإسلامى والحبشة المسيحية ، كما فى غيرها من المناطق - ارتبطت باللغة العربية ، بوصفها لغة القرآن والعلوم الإسلامية . وسار الإسلام واللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الجهاد فى سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية ، فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية(٢٦) .

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربى هو القلم المعروف فى شرق أفريقية دون غيره . وكانت هناك علاقة قديمة بين العرب وبين الحبشة والزنج ، ترجع إلى ما قبل القرن التاسع الميلادى ، أى قبل دخول الإسلام فى القارة الأفريقية . وقد اشتهرت عدة طرق للقوافل ، كانت تبدأ من زيلع وهرر وسواكن وأوفات ، فتجتاز هضاب الحبشة إلى الداخل حتى منطقة البحيرات . وقد تولى العرب أمر هذه التجارة منذ أزمان بعيدة ، حيث يجتازون الصعاب ، ويخترقون الهضاب والوديان التماسًا للرزق .وكان العرب ينشدون الذهب والعاج والأبنوس والرقيق والبخور ، مقابل بضائعهم التى كانوا يحضرونها معهم والتى كانت تتمثل فى

الحرير والسروج والسيوف والنحاس والملح وأنواع شتى من المنسوجات ، فيبيعونها ويشترون الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك(٢٧) .

ونستطيع القول إن هذه العلاقة التجارية بين العرب المسلمين ومنطقة القرن الأفريقى والحبشة التى بدأت فى القرن الأول الهجرى (السابع الميلادى) وازدهرت بعد القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أدت إلى انتشار اللغة العربية فى تلك البلاد . ولقد نمت هذه العلاقة بطريقة سليمة طبيعية منذ ذلك التاريخ إلى أن تمت بانتشار الإسلام فى كل بلاد أفريقية الشرقية . فالتجارة بطبيعة الحال تلزمها لغة التفاهم بين البائع والمشترى ، كما تولد الصلة بينهما ، وبما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية ، فقد كان من الطبيعى أيضًا أن تكون هى المستعملة فى تلك الجهات . ومن الطبيعى أيضًا أن يلتقطها التجار والأهالى المحليون من إخوانهم العرب وينشروها فيما بينهم . فهذه العلاقة التجارية إذن هى التى وضعت الحجر الأساسى للغة العربية فى أفريقية الشرقية ، وبدأ أولئك التجار يدخلون كلمات وتعابير عربية فى تلك المناطق ، فانتشرت تلك الكلمات والتعابير تدريجيًا حتى توغلت فى ربوع أفريقية ، واندمج بعضها فى اللهجات المحلية ، وخاصة بعد انتشار الإسلام . ومما يؤكد هذا وجود كلمات عربية كثيرة فى بعض اللغات الأفريقية مثل لغة السواحيلى والأحباش ، وخاصة أسماء تلك البضائع التى كانت تصدر إليها من اليمن وعمان والحجاز فى تلك القرون الماضية ، هذا فضلاً عن الكلمات والتعابير الإسلامية التى دخلت مع الإسلام . فنجد فى اللغة السواحيلية والأثيوبية مثلاً أن أسماء هذه البضائع عربية ، فكلمات السرج والحرير والزعفران واللجام والقلم والدواة وأمثالها ، كلها وافدة على اللغة السواحيلية والأثيوبية ، وتنطق بتحريف بسيط(٢٨) . لذلك يمكن القول أن اللغة العربية قد تركت آثارها فى عدد من اللغات المحلية لدرجة كبيرة . وظهر هذا الأثر واضحًا فى لغة السواحيلى وبعض اللهجات الأثيوبية والصومالية والأرتيريه إذ يوجد فى هذه اللغات الكثير من الكلمات ذات الأصول العربية ، بل إن الحروف العربية

استخدمت فى كتابة اللغة العربية السواحيلية منذ زمن مبكر ، كما استخدمت فى اللغات الصومالية والأمهرية(٢٩) .

وقد ساعد على انتشار اللغة العربية والتمسك بها ، فضلاً عن الجانب الدينى المرتبط بها ، أن الكثير من الشعوب الأفريقية فى منطقة القرن الأفريقى وعلى طول الساحل الشرقى الممتد من زيلع شمالاً إلى سوفالا جنوبًا ، ادعت الأصول الشرقية . لقد ادعى ملوك أوفات وهرر وزيلع ومقديشو وكلوه وغيرهم، أنهم انحدروا من الشرق . كذلك من العوامل التى ساعدت على انتشار اللغة العربية فى أفريقية الشرقية الإسلامية هجرة القبائل العربية إلى تلك البلاد واستقرارها فيها . وهذه الهجرات - كما سبق القول - قديمة وسابقة على دخول الإسلام . وازدادت بانتشار الإسلام . ثم أن مصاهرة العرب مع القبائل الأفريقية ساعد على انتشار اللغة العربية بجانب الإسلام مثل قبائل الأمهرة والدناقل والاريتريين والأحباش والصوماليين . وهكذا ظفر الإسلام واللغة العربية بنجاح كبير فى هذه البلاد ، فأدى ذلك إلى تقدمها وتطورها ، وتطلعت إلى البلاد الإسلامية فى الشرق والشمال الشرقى من أجل العقيدة والمدنية ، ولم تحل صعاب البحر والمحيط دون الاجتياز(٣٠) .

ويقترن العهد الزاهر للغة العربية والعلوم العربية الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى بصفة خاصة ، وبلاد شرق أفريقية بوجه عام ، بعهود الدول الإسلامية الكبرى ، أوفات ، زيلع ، هدية ، مقديشو وكلوة ، وبقية دول الطراز الإسلامى بصفة عامة . ذلك أن اللغة العربية صارت هى اللغة الرسمية السائدة فيها ، واستخدمت فى شتى الأغراض وأوفت بها ، كما استخدمت فى مجال الحكم والإدارة والقضاء ، ثم صارت لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول والعالم الإسلامى الخارجى . ووجد فى الدواوين المصرية زمن المماليك صيغ عربية لمخاطبة ملوك تلك البلاد ، لابد من تصدير المكاتبات بها(٣١) .

* * *

يتضح من هذا العرض السريع أن اللغة العربية كانت اللغة السائدة فى العصور الوسطى فى تلك البلاد الإسلامية ، واستمرت كذلك حتى بداية التدخل الأوروبى فى شئون البلاد الأفريقية الإسلامية . فكانت اللغة العربية طيلة هذه القرون هى لغة الدين والثقافة والتجارة ، ثم إنها لغة الحكومة والإدراة والقضاء ، كما أصبحت لغة التفاهم فى كثير من بلاد الأحباش والصومال والسواحيلى بصفة عامة(٣٢) مع وجود اللغات المحلية كلغة الأمهرا والتيجرى والبنى عامر والدناقل والصومال والسواحيلى . هذا بالإضافة إلى بعض اللهجات الأفريقية القديمة كلغة البانتو والبوشمن والهوتنتوت . كذلك كانت اللغة العربية ، هى لغة المراسلات الدولية والوثائق والمعاهدات(٣٣) .

وقد مر ازدهار اللغة العربية الذى جاء مقرونًا بانتشار الإسلام فى إفريقية بوجه عام ، بمراحل عديدة :

ذلك المعروف أن الإسلام أخذ ينتشر فى تلك البلاد منذ ظهوره ، وساهم الأفريقيون مع العرب فى نشر الدعوة الإسلامية منذ مطلع القرن الأول الهجرى ، كما إن إزدياد الهجرات العربية والإسلامية أدت إلى ازدياد الداخلين فى الإسلام. كذلك ساعد على ذلك أن الصلة التجارية والثقافية قديمة منذ الأزمنة السحيقة بين بلاد القرن الأفريقى (الحبشة والصومال) وبلاد العرب . وتحت مظلة الإسلام كثرت هجرات المسلمين ، من العرب والفرس وغيرهم . واحتكر التجار المسلمون عملية الاتصال بهذه البلاد لأسباب دينية وتجارية ، واستقرت أعداد كبيرة منهم فى تلك البلاد ، يضاف إلى ذلك جهود دول الطراز الإسلامى ، (٣٤) التى تفانى ملوكها فى نشر الإسلام واللغة العربية بين سكان هذه البلاد من الأمهرا والتيجرى والصوماليين والأحباش والارتيريين . وقد بلغت هذه الدول ذروة قوتها وعظمتها خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (العاشر والحادى عشر الميلاديين) ، فقامت بدور كبير فى نشر الإسلام والعلوم الإسلامية العربية(٣٥) .

ولا أدل على ذلك مما ذكره ابـن بطوطـة مـن أن ملـوك هـذه البـلاد كـانوا شديدى الحماسة لنشر الإسلام واللغة العربيـة بـين قومهـم وبـين القبـائل الأفريقيـة المجاورة من ناحيتي فى الغرب والجنوب(٣٦) . وكانت حماسـة هـؤلاء الملـوك مـن العناصر الهامة التى أسهمت فى ازدياد انتشار الإسلام ، كما أن الصـلات المتنوعـة والجهود البارزة لملوك دول الطراز الإسلامى أدت إلى اتساع رقعة البلاد الإسـلامية فى شرق أفريقية . ولمـا كـانت الحبشـة جـزءًا مـن شـرق أفريقيـة ، فـلا ريـب أن الإسلام داخلها وانتشر بين سكانها ، بدرجـات متفاوتـة ، وذلـك بفضـل جهـود ملـوك دول الطـراز المجـاورين لهـا ، أو الخـاضعين لسـيادتها فـى بعـض الفـترات . والراجح أن عددًا كبيرًا من سكان الحبشة المسيحية قد اعتنق الإسلام، وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربيـة ، قـد وجـدت طريقهـا إلى بلاد الحبشة منذ زمن مبكر ، قبل قيام الطراز الإسلامى ، بدليل بروز آثـار الطـراز الإسلامى فى بلاد الحبشة والقرن الأفريقى بوجه عام، وبخاصة فـى هديـة وأوفـات ودوارو وأرابينى وشرخًا وبالى وهرر وزيلع . وقد ضمت أوفات وحدها نحو اثنـى عشر مسجدًا ، وكذلك هدية وهرر ، وألحق بكل مسجد مدرسـة لتعليـم القـرآن وقواعد الدين واللغة العربية . هذا إلى أن نواحى هذه البلاد كانت مـلأى بالعلمـاء والفقهاء والأئمة ، (٣٧) وأصبحت مدن هـذه البـلاد مثـل أوفـات وزيلـع وهديـة وشرخًا وهرر مراكـز ثقافيـة عربيـة إسـلامية ،كمـا كـانت مراكـز لنشـر الدعـوة الإسلامية . وكانت اللغة العربية هى لغة العبادة والثقافة الوحيدة فى البلاد ، هـذا إلى جانب كونها لغة التجارة المستعملة فى التبادل التجارى والمكاتبات . وتبـوّأت هذه اللغة فى الحبشة والطراز الإسلامى المكانة التى تبوأَتْها اللغة اللاتينية فى غـرب أوروبا فى العصور الوسطى ، بل زادت عليها ، إذ بقيت اللغة العربية بتلـك البـلاد لغة الدين والثقافة حتى فـى العهـد الاسـتعمارى فـى أفريقيـة ، بينمـا زالـت اللغـة اللاتينية تدريجيًا أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا بتلك العصـور . وقـد شهد بعض المكتشفين والمستعمرين فى مطلع العصور الحديثة ، بأن إلمـام سـكان شـرق أفريقية باللغة العربية ، يفوق إلمام أوروبا باللغة اللاتينية فى العصر الوسيط(٣٨).

ومما يذكر أن ملوك دول الطراز الإسلامى كانوا يرسلون العلماء لبث العقيدة الصحيحة . وكان أن أقبل الأفريقيون المسلمون من سكان هذه البلاد على مناهل العلم العربية فى حماسة تلقائية ، بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما أمتاز به المسلمون الذين استقروا فى هذه البلاد ، والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة وأمانة وصدق فى شتى الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافى ، ذلك أن المسلمين يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية ، بدليل استعانة ملوك دول الطراز بهم فى أجل أعمالهم . والمسلمون فى بداية الأمر كانوا وحدهم هم الذين يعرفون القراءة والكتابة ، لذلك كانوا عونًا للملوك(٣٩) ، وهذا دليل على انتشار الثقافة الإسلامية التى توسعت وانتشرت مع ازدهار دول الطراز الإسلامى .

وبالإضافة إلى الدور الذى قام به التجار والدعاة فى نشر الإسلام فى بلاد القرن الأفريقى وما جاورها شمالاً وغربًا وجنوبًا ، هناك عامل آخر ساعد على نشر الإسلام واللغة العربية فى تلك البلاد المجاورة من الحبشة وارتيريا حتى الصومال الشمالى وهضبة البحيرات وأعالى نهر النيل الأزرق ، وذلك بفضل الهجرة التى قام بها التجار المسلمون من مقديشو ومركه وبراوة إلى مدن القرن الأفريقى ، وخاصة أثر غزو الشيرازيين الفرس لتلك البلاد والاستيلاء عليها ، فانتشر التجار فى هذه البلاد وأقاموا مراكز تجارية أصبح لبعضها أهمية عظيمة وأثر كبير فى نشر الدين والثقافة العربية فى شرق أفريقية(٤٠) .

وكان أن وجدت المدارس الكثيرة أيضًا فى جميع المدن المشهورة بجوار المساجد ، مثل مدارس هدية وبالى وشرخًا وأوفات . ويقول ابن بطوطه أن أهل مدينة زيلع قدماء فى الإسلام ولهم ديانة وطلب علم . وبجانب الاهتمام بالقرآن ، كما ذكر ابن بطوطه ، هناك الاهتمام بلغة القرآن ، وهى اللغة العربية التى

أكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمى شرق أفريقية عامة(٤١). ولم تكتف قبائل هذه الدول بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربى بسبب انتشار اللغة العربية فى تلك البلاد . وهناك خصائص معينة فى نطق الحروف العربية عند مسلمى شرق أفريقية ، أما طريقة الكتابة ، فهى طريقة الخط الكوفى .

وقد ساعد ازدهار دول الطراز الإسلامى ، واتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين فيها وتفانيهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية ، على أن تترك اللغة العربية أثرًا قويًا فى اللغات المحلية ، ولا سيما لغات السواحيلى والأمهرا والتيجرى ، فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ فى كتابة اللغة السواحيلية ولا تزال إلى اليوم .

كذلك كان العامل التجارى من عوامل ازدهار اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع حول هضبة الحبشة والبحيرات وما جاورها . وكانت طرق القوافل التجارية تبدأ من زيلع وأوفات وتتجه إلى الجنوب عن طريق هدية وبالى إلى أن تصل أكسوم وهرر إلى داخل أثيوبيا . وهذا مما سهل وصول التجار المسلمين إليها وبالتالى دخول الإسلام وتعلم اللغة العربية . ولا شك أن التجار هم الذين ادخلوا الإسلام فى تلك المنطقة(٤٢) .

لقد استطاع ملوك هدية وبالى وأوفات فى أيام ازدهار دولهم إيجاد علاقة سياسية وتجارية بين حكوماتهم والبلاد العربية الإسلامية ، وخاصة الحجاز واليمن ومصر . وبالطبع فهناك الكثير من المراسلات التى جرت بين هذه الدول وتلك البلاد العربية والظاهر أن العلاقة مع الحجاز كانت قوية بسبب الحج ، إذ إن من المعروف أن كثيرًا من ملوك أوفات وهدية كانوا يؤدون تلك الفريضة(٤٣) .

ولا شك أن العلاقة التى كانت موجودة فى تلك القرون الغابرة قد ساعدت كثيرًا فى نشر الثقافة العربية الإسلامية فى تلك المنطقة ، فقد انتشر فيها

التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء . ومما ساعد فى نشر اللغة العربية وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها من اليمن ، ومن قبائل ربيعة التى استقرت بعض بطونها فى بعض مدن هذه البلاد حتى ارتيريا(٤٤) .

ويضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به بعض القبائل العربية مثل قحطان وربيعة وبعض القبائل اليمنية مثل الأزد وغيرهم ، وقد اشتدت حماسة هذه القبائل لنشر الإسلام فى زمن ازدهار دول هدية وبالى وأرابينى ، فانتشرت الثقافة العربية الإسلامية بفضل جهود ملوكها الذين نشروا الإسلام والثقافة الإسلامية فى مناطق عديدة يقع بعضها فى الهضبة الحبشية وبعضها الآخر فى منطقة البحيرات ، لذلك تمثل هذه الدول وقبائلها العربية العصر الذهبى لازدهار وانتشار اللغة العربية وتقدم العلوم والثقافة الإسلامية فى بلاد شرق أفريقية(٤٥) .

وعندما قام الإمام أحمد ابن جرا بالجهاد ونشر الإسلام فى القرن العاشر الهجرى ، كان أكبر همه بعد تحطيم الوثنية والقضاء على الحركة الصليبية النصرانية، نشر مبادئ الإسلام الصحيحة والثقافة العربية . ولم يكن أيضًا حكام هذه البلاد الذين نظموا دولهم وإماراتهم حسب النظم الإسلامية يدعون أنفسهم أو يدعوهم الناس سلاطين أو أمراء ، إنما كانوا يدعون مؤدبين أو معلمين أو شيوخًا لعلمهم وورعهم بالإضافة إلى أهميتهم ومكانتهم .

إن هؤلاء الحكام هم الذين باشروا الحكم بين رعيتهم حسب الشريعة الإسلامية ، كما كانوا يباشرون الأمور السياسية ، ويؤمونهم فى الصلاة . وفضلاً عن ذلك فقد كانوا يقومون بتدريس العلوم الدينية فى أوقات فراغهم، وكانوا مثلاً فى التواضع والزهد . وعلى الرغم من أن دول الطراز الإسلامى لم تفتح مدارس رسمية نظامية على النظام المدرسى الحديث ، فإنها شجعت التعليم تشجيعًا بالغًا ، فكان معظم الملوك والحكام دعاة ومعلمين .كذلك كان الوزراء والقضاه ، وكانوا كلهم يجعلون بيوتهم مدارس ويفتحون أبوابهم على مصاريعها لطلاب

العلم ولغير الطلاب من كافة المسلمين ، وكان من الطبيعى أن يقلد الطلاب قادتهم وأساتذتهم ، ومن ثم كثرت المدارس القرآنية ، وتعددت المجالس العلمية فى معظم مدن دول الطراز الإسلامى وانتشر التعليم الدينى ، وكثر التأليف ، فأصبح ذلك العصر عصر النهضة فى شتى العلوم النقلية وغيرها . ويمكن القول إن تعليم اللغة العربية نال اهمية كبيرة فى فترة ازدهار هذه الدول(٤٦) .

ولم تكن مناهج الدراسة فى تلك المدارس القرآنية منظمة تنظيمًا دقيقًا كالذى نعرفه الآن فى المدارس ، ولم تكن محدده . لكن ينتقل الصبى فى تلك المدارس الكثيرة من المرحلة الأولية وهى المدارس القرآنية ، حتى يصل إلى مستوى الكبار ، ثم يدخل فى سلك العلماء ويقتفى أثرهم فيدرس كما يدرسون . وكان الطلبة دائمًا يعتمدون على الكتب التى تدرس ، وعلى المدرس الذى يدرسها على طريقة الأزهر القديم ، حيث إن أساس التعليم مبنى على الشيخ والكتاب فقط . وكان الطالب ينتقل من مدرس إلى آخر ، وربما كان الانتقال فى بعض الأحيان من بلد إلى آخر التماسًا للعلم حتى يأخذ كفايته(٤٧) . لقد عكف العلماء على تعليم اللغة العربية وتعلموها لغة وأدبًا ، وألفوا بها كتبًا كثيرة فى شتى الفنون . وأنتج العلماء والأدباء فى تلك الفترة كثيرًا ، وألفوا كتبًا ورسائل عالجوا فيها الكثير من المشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية(٤٨) .

وقد أعطى المجتمع الإسلامى فى بلاد شرق أفريقية العلم منزلة عالية ، وتمنى كل طالب أن يكون عالمًا من علماء الدين ، واندفعوا إلى مجالس الفقهاء والعلماء للتزود من مناهلهم العلمية . وبذل العلماء مجهودات هائلة لأداء رسالتهم العلمية، وساعد على ذلك قرب المنطقة من مواطن الحضارة الإسلامية فى مكة والمدينة والقاهرة ودمشق . ونزحت إلى هذه البلاد جميع الفرق والمذاهب المعروفة - آنذاك - فى العالم الإسلامى ، كما رحل كثير من أبنائها إلى تلك البلاد ، فتوحدت الحياة الثقافية . وركز سلاطين الطراز على الالتزام بخلق الإسلام فى المجتمع ، وفى الإدارة الحكومية ، كما اتخذوا ألقابًا متصلة بالدين كسعد الدين وجمال الدين

ومعز الدين وغيرها . كذلك أصبح العلماء مجموعة ذات وجود مؤثر فى البلاط السلطانى فى الحياة الثقافية والاجتماعية فى هدية وأوفات وهرر وزيلع وارابينى . وقاد العلماء حركات الجهاد كالشيخ محمد أبى عبد الله والشيخ حق الدين الثانى وأحمد بن إبراهيم الجران ، كما تولى بعضهم مهمة السفارات كالشيخ عبد الله الزيلعى(٤٩) .

ومهما يكن من أمر ، فقد ازدهرت الحركة العلمية ، وتعدد العلماء والفقهاء الذين يقومون بأمور الدولة ، وبتدريس الدين واللغة العربية التى تدون بها الدواوين على الطريقة الإسلامية . كما كان لدول الساحل الإسلامية مثل كلوه وأوفات وهدية وأرابينى قضاه ومحاكم شرعية وأئمة للمساجد وكتبة ، مما استدعى وجود طائفة متمكنة من الثقافة الإسلامية . كذلك ساعد ازدهار دول الطراز واتساع رقعتها ، وعظمة ملوكها ، وتفانيهم فى خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية ، على استمرار هجرة العلماء فى أيام السلطان جمال الدين الثانى من سلاطين الطراز الإسلامى ، وقد نزل عدد من هؤلاء فى مدينة بريه عام (٨٣٤هـ/١٤٣٠م) ، ثم انتشروا فى مدن دول الطراز المختلفة(٥٠) .

وبفضل هجرة العلماء واستمرارها ظلت العقيدة والثقافة الإسلامية ثابتة ، حتى فى أصعب أوقات الشدة التى تعرضت لها هذه الدول فى نضالها المستمر ضد حملات الصليبين عليها من وقت لآخر . وأدى ازدهار الحركة العلمية فى ربوع هذه البلاد إلى تعدد المؤلفات العلمية وكتب الفقه والحديث والتفسير . ومن أهم ما وصل إلينا منها كتاب " **تاريخ عمر ولشمع وامبراطوريته** " **للشيخ أبى بكر باعلوى**"، وفتوح الحبشة لشهاب الدين الجيزانى " **عرب فقيه** "(٥١) .

ومما ساعد على ازدهار الحركة العلمية ، وانتشار اللغة العربية فى بلاد الطراز ، انتشار الطرق الصوفية وظهورها فى شرق إفريقية فى فترة العصور الوسطى . وكان أوسع تلك الطرق انتشارًا الطريقة القادرية والشاذلية ، بجانب

طرق أخرى مثل الرفاعية والأحمدية والإدريسيه وغيرها . وكانت لكل طائفة زواياها الخاصة التى يجتمع فيها المريدون للذكر . وقد امتدت الطوائف على طول مدن الساحل وجزره ، بل لقد امتدت لتشمل الداخل أيضًا . وساهمت هذه الطرق بقدر وافر فى نشر الإسلام والثقافة الإسلامية فى ربوع الطراز الإسلامى(٥٢) .

وفى ضوء ما تقدم ، يتضح أن حركة التعليم ونشر الثقافة العربية الإسلامية قد تطورت ووصلت منزلة رفيعة خلال فترة ازدهار دول الطراز الإسلامى فى الحبشة؛ لأن هذه الدول قامت على أساس إسلامى خاضع لقوانين شرعية ونظم دقيقة لابد من دراستها ومعرفتها قبل تطبيقها . ولما كانت هذه الدول تقوم على نظم إسلامية ، فقد كان من الطبيعى أن تدور فيها الدواوين على الطريقة الإسلامية ، وأن تكون فيها محاكم شرعية وقضاه . لذلك أدرك المستعمرون عند دخولهم هذه البلاد خطورة اللغة العربية حيث كانت اللغة الرسمية ولغة الثقافة ، فحاولوا بكل ما يستطعون من قوة أن يزيلوا اللغة العربية من مكانها ، ليجعلوا اللغات الإنجليزية والإيطالية والفرنسية هى الرسمية فى تلك البلاد ، وجعلوا هذه اللغات هى المستخدمة فى الدواوين والمكاتب الحكومية . كذلك استبدلت الحروف العربية التى كانت تكتب بها اللغات واللهجات الأفريقية بالحروف اللاتينية فى المدارس الحديثة التى أنشأوها ، وشجعوا الإرساليات والمنظمات المسيحية فى هذه البلاد ، وسهلوا لها كل الطرق والوسائل لنشر الدين المسيحى والثقافة المسيحية . لكن برغم ذلك تركت اللغة العربية أثرها البارز فى شعوب أفريقية المختلفة ، ويظهر ذلك واضحًا وجليًا فى لغاتهم المحلية . ولا تزال إلى اليوم آلاف الكلمات العربية مستخدمة فى شرق أفريقية فى شتى مظاهر الحياة : الدينية والثقافية والاقتصادية، سواء فى الحرب والسياسة ونظم الحكم والحياة الاجتماعية، وحتى فى أسماء الأعلام والمدن والحيوانات والنباتات . ولا تزال اللغة العربية

متفوقة من حيث سعة الانتشار والبقاء بسبب مكانتها الدينية ؛ بوصفها لغة القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية .

وبعد ، فإن شرق أفريقية كان وما زال جزءًا هامًا من دار الإسلام ، متميزًا فى إطارها ، نابضًا بكل ما نبضت به الحضارة الإسلامية فى أثناء القرون الوسطى من ألوان الحياة الفكرية والعلمية والنظم السياسية والاجتماعية وإبداعاتها الأدبية والفنية ، متفاعلة معطياتها فى كل تلك الأبواب مع معطيات مثيلاتها من الشعوب الإسلامية وغير الإسلامية فى القارتين الآسيوية والأفريقية .

الهوامش والتعليقات

(١) للحصول على تفصيلات أكثر عن وصول ثم انتشار الإسلام فى كل من بلاد الحبشة والصومال ، انظر . جلال الدين السيوطى . **أزهار العروش فى أخبار الحبوش** . مخطوط مصور عن نسخة بالأرسكوريال ، ميكروفيلم رقم(٢٧) تاريخ، دار الكتب بالقاهرة ؛ عبد الرحمن بن الجوزى . **تنوير الغبش فى فضل السودان والحبش** .

مخطوط مصور عن نسخة بالأرسكوريال ، مكروفيلم رقم(٢٩) تاريخ ، دار الكتب بالقاهرة ؛ أبو محمد عبد الملك ابن هشام . **السيرة النبوية** . تحقيق مصطفى السقا وآخرين (د.ت) ، جـ١،ص٣٢١-٣٢٢ ، ابن حجر العسقلانى . **فتح البارى** . تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ومحب الدين الخطيب (د.ت)،جـ٧،ص١٨٨؛

غيثان بن على بن جريس . **بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية** . (الأسكندرية ، ١٩٩٤م) جـ١،ص١١-٣٧ ؛ للمؤلف نفسه " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز فى صدر الإسلام " . **مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** . العدد (٨) رجب (١٤١٣هـ) ص ٤١٢-٤٣٣ .

J . Spencer Trimingham . **IsIam in Ethiopia** (London,1976) pp 46 ff.

(٢) للمزيد من التفصيلات ، انظر : أبو الحسن على بن الحسن المسعودى . **مروج الذهب** ومعادن الجوهر . (القاهرة ، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م) جـ١،ص١١٢ وما بعدها ؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى . **معجم البلدان** (بيروت ، ١٣٢٤ هـ/١٩٠٦م) جـ٣،ص٣٤٣ وما بعدها ؛ فاضلو حورانى . **العرب والملاحة فى المحيط الهندى فى العصور الوسطى القديمة وأوائل القرون الوسطى.**

ترجمة يعقوب بكر (القاهرة ، ١٩٥٨م) ص،٥٢ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس " العرب فى مقديشو وأثرهم فى الحياتين السياسية والثقافية فى ظل الإسلام " مجلة المؤرخ العربى . العدد الأول ، المجلد (١) (القاهرة،١٩٩٣م) ص١٢٨-١٥٨ ؛ للمؤلف نفسه . **الهجرات العربية إلى ساحل شرقى أفريقية فى العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية والتجارية حتى القرن الرابع الهجرى** (كتب نشر من مركز بحوث كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود بأبها ، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ص٥ وما بعدها .

G .S .P Freeman & Grenville **The East African Coast (Select Documents from the first to the earlier Nineteenth Century** (Clarendon Press , 1962) PP . 33 ff ; R.Reusch.**History of East African** (Newyork , 1916) PP . 11 ff; R. Coupland . **East Africa and its Invaders** (Oxford , 1938) pp . 15 ff .

(٣) محمد بن حبيب . **كتاب المنمق فى أخبار قريش** . تحقيق خورشيد أحمد فاروق (بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٥م) ص٤٠١ وما بعدها ، غيثان أبو عثمان الجاحظ . **التبصر بالتجارة** . تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب (بيروت ، ١٩٦٦م) ص ٣٤؛ إبراهيم رزقانه ، ومحمد صفى الدين . **الجغرافية الطبيعية** (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص ٢٩٢ وما بعدها .

M.J.Kister . " Some Reports Concerning Mecca from Jahiliyya to Islam " **Studies in Jahiliyya and Early Islam** (London , 1980) pp . 61 ff ; Patricia Crone . **Meccan Trade and the Rise of Islam** (Oxford , 1987) pp . 23 ff ; Coupland , **East African its Invaders** , pp . 16 ff , Reusch , **History of East African** , pp . 12 ff.

(٤) للمزيد من التوضيحات انظر . ياقوت الحموى . **معجم البلدان** ، جـ٣ ، ص ٣٤٢ وما بعدها ؛ جواد على . المفضل على . المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (بغداد ، ١٩٧٧م) جـ١، ص٤٤ وما بعدها ، أحمد فخرى . **دراسات فى تاريخ الشرق القديم** (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص ١٢٥ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس . **الهجرات العربية إلى ساحل شرقى أفريقية فى العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية** ... ص٨ وما بعدها، للمؤلف نفسه " العرب فى مقديشو ... " ، ص١٢٨-١٣١ ؛ جورج جوارنى ، **العرب والملاحة فى المحيط الهندى** ، ص وما بعدها .

Patricia Crone **Meccan Trade and the Rise of Islam** , pp . 20 ff , 124 ff .

(٥) وللإطلاع على تفصيلات أكثر حول علاقة العرب بالجزء الشرقى من أفريقية، وعن انتشار الإسلام فى تلك الأجزاء ، انظر . محمد بن عمر الواقدى . **كتاب المغازى** .تحقيق مارسدن جونس (بيروت ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) جـ٣،ص٩٨٣ وما بعدها ؛ محمد بن إسحاق الفاكهى . **كتاب المنتقى فى أخبار أم القرى** (نشرة وستفلد) جـ٢، (ليبزج،١٨٥٩م) ص٤٤ وما بعدها ؛ يوسف فضل حسن . **دراسات فى تاريخ السودان** (جامعة الخرطوم ، ١٩٧٥م) جـ١،ص٣ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس . **بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية** ، جـ١،ص١١-٢٧،٢٥٩-٢٧٣ ؛ للمؤلف نفسه " تطور العلاقات السياسية والتجارية بين الحبشة وبلاد النوبة وبين الحجاز " ، ص٤١٤ وما بعدها ؛ السر سيد أحمد العراقى . " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية فى أثيوبيا " ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم فى الحضارة العربية الإسلامية ، الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو م " (بغداد ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص١٦٤ وما بعدها .

Sir E.A.W. Budge. **Ahistory of Ethiopia & Abyssinia** (London , 1928) VOL.I , pp . 120 ff ; Trimingham , **Islam in Ethiopia** pp . 44ff.

(٦) ابن هشام ، السيرة ، جـ١،ص٣٢٨-٣٣٥ ، محمد بن جعفر بن جرير الطبرى . **تاريخ الرسل والملوك** . تحقيق أبو الفضل إبراهيم (بيروت ، د.ت)جـ٢ ص٣٢٨ وما بعدها ، عماد الدين ابن كثير . **البداية والنهاية** . (بيروت،١٩٧٨م) جـ٣ ، ص٦٦ ، ٧١ وما بعدها، أحمد حفنى القنائى . **الجواهر فى تاريخ الحبشان** (القاهرة ، ١٣٢١هـ) ص، ج ؛ الشاطرة بوصيلى عبد الجليل . **معالم تاريخ السودان ووادى النيل** " (القاهرة، ١٩٧٥م) ص٩ وما بعدها ؛ عبد المجيد عابدين . **بين الحبشة والعرب** (القاهرة ،١٩٤٧م) ص١٦ وما بعدها . محمد محمد أمين . **تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى** (القاهرة ، ١٩٧٧م) ص٣٣ وما بعدها ، إبراهيم على طرخان . " الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى " . **المجلة التاريخية المصرية** (القاهرة ، ١٩٥٩م) المجلد الثامن ، ص٥ وما بعدها . عبد الشافى غنيم عبد القادر . " البحر الأحمر طريقًا للدعوة الإسلامية " **البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، أبحاث الأسبوع العلمى ١٠-١٥مارس ١٩٧٩م** (القاهرة ، ١٩٨٠م) ص٧٨ وما بعدها .

(٧) للمزيد من التفصيلات انظر . المسعودى ، **مروج الذهب** ، جـ١،ص٥١-٥٢ ؛ أحمد بن على المقريزى . **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** (القاهرة ، د.ت) ص٢٢ وما بعدها ، أحمد حفنى القنائى . **الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان** ، ص١٥-١٦ ، يوسف فضل " انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل " **ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم فى الحضارة الإسلامية** (الخرطوم ٢٨/٣٠يوليو تموز ١٩٨٣م) (بغداد ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص٢٥ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس . " الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق أفريقية فى العصور الوسطى . **مجلة المؤرخ العربى** . العدد الثالث ، المجلد (١) (القاهرة ، ١٩٩٥م) ص٧٤-٧٧ ، للمولف نفسه . " سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠-٩٠٠هـ/١٢٠٠-١٥٠٠م) " **مجلة المؤرخ المصرى** . العدد (١٦) (يوليو /١٩٩٦م) ١٥٧-١٦٠ ؛ Triminigham , **Islam in Ethiopia** , pp.5-7) C.N. Stigand . **the Land -of Zing** (London , 1913) pp . 104 ff , R.Reusch. **History of East Africa** pp.18 12; Yusuf Fadl Hassan . **The Arabs and the Sudan** (Khartoum , 1973) pp.59-66.

(٨) أبو العباس أحمد القلقشندى . **صبح الأعشى فى صناعة الإنشا** (القاهرة ، ١٩٠٦م) ؛ حسن أحمد . **الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا** (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٤٣٥ وما بعدها ؛ جامع عمر عيسى , **مقديشو ماضيها وحاضرها** (مقديشو ، ١٩٧٩) ص٣٣٢ وما بعدها ؛ غثيان بن على بن جريس . **بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية** ، جـ١، ص١١ ، ٢٦٠ ؛ للمؤلف نفسه " العرب فى مقديشو ... " ص١٢٩ وما بعدها ؛ للمؤلف نفسه ." الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد وشرق أفريقية ... " ص٧١-٧٢

Triminigham , **Islam in Ethiopia,** pp. 5,7,32-ff. Kamerer, Abyssinie et la Mer. Rauge(Le Cairo, 1992) p.57ff.

(٩) للمزيد عن تلك الدول الإسلامية التى ظهرت فى القرن الأفريقى خلال العصر الإسلامى الوسيط ، انظر . المقريزى ، الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام ، ص٢١ وما بعدها ، إبراهيم طرخان "الإسلام والممالك بالحبشة ..." ص٣٠ وما بعدها ؛ محمد المعتصم سيد . دول إسلامية شرق أفريقيا (هرر والصومال) (القاهرة ، ١٩٦٤م) ص٢٥ وما بعدها ؛ ترمنجهام . **الإسلام فى شرق أفريقيا** – ترجمة محمد عاطف النداوى (القاهرة ، ١٩٧٣م) ص٣٢ وما بعدها . وغيثان بن على بن جريس " سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى ..." ص١٥٩ وما بعدها ، للمؤلف نفسه " سلطنة أوفات الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وعلاقاتها مع العلم الإسلامى خلال العصر الإسلامى الوسيط " بحث مقبول للنشر فى الجزء الأول من العدد التاسع عشر بحولية كلية البنات بجامعة عين شمس

(١٠) للمزيد انظر ، أحمد القنائى ، **الجواهر الحسان فى تاريخ الحبشان** ، ص ١٥ وما بعدها ، المقريزى ، **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** ، ص٢٣ وما بعدها ؛ إبراهيم طرخان " الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة " ، ص٣٣ وما بعدها .

(١١) حمدى السيد . **الصومال قديمًا وحديثًا** (مقديشو ، ١٩٦٥م) جـ١ ،ص٢٧ وما بعدها ؛ إبراهيم طرخان ، **الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة** ،ص٣٢ وما بعدها .

(١٢) لقد أفردنا بحثين مستقلين عن مملكة أوفات الإسلامية ، أحدهما بعنوان : – " سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠ –٩٠٠هـ/١٢٠٠–١٥٠٠م) ، وتم نشره فى مجلة المؤرخ المصرى ، وقد أشرنا لهذا البحث فى ملاحظة (٧) من هذه الدراسة . أما البحث الثانى فهو بعنوان : – " سلطنة أوفات الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وعلاقاتها مع العالم الإسلامى خلال العصر الإسلامى الوسيط " وسوف ينشر فى حولية كلية البنات بجامعة عين شمس ، وقد أشرنا لهذه المعلومات فى ملاحظة (٩) من هذه الدراسة أيضًا .

(١٣) للمزيد انظر . محمد بن حبيب . **كتاب المنمق فى أخبار قريش** ، ص٣٣ وما بعدها ، محمد ابن عبد الله اللواتى (ابن بطوطة) . **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار** . (بيروت ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) جـ١ ، ص٢٦٩ وما بعدها ؛ حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** (القاهرة ، ١٩٦٣م) ص٢٦ وما بعدها ؛ غيثان بن على بن جريس . " العرب قديشو ... " ص١٣١ وما بعدها .

(١٤) حسن أحمد محمود . **الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا** ، ص٤٣١، سير توماس أرنولد . **الدعوة إلى الإسلام** . ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين (القاهرة ،

١٩٧٠م) ص٣٧٢ وما بعدها ، عبد القادر شيخ عبد الله . **تاريخ التعليم فى الصومال** (مقديشو ، ١٩٧٨م) ص١١ وما بعدها .

(١٥) للإطلاع على تفصيلات أكثر عن انتشار الدين الإسلامى بين الشعوب الأفريقية، وذلك لما يتميز به الإسلام من محاسن ومناقب تختلف عن الأديان الأخرى . سيرتوماس أرنولد . **الدعوة إلى الإسلام** ، ص٣٢٢ وما بعدها ، حسن إبراهيم . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص ٢٤ وما بعدها .

(١٦) للمزيد من التفصيلات عن مملكة أوفات ، انظر . غيثان بن على بن حريس "سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠-٩٠٠هـ ... " ص١٥٣-١٨٩) للمؤلف نفسه " سلطنة أوفات الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وعلاقاتها مع العالم الإسلامى خلال العصر الإسلامى الوسيط " بحث مقبول للنشر فى الجزء الأول من العدد (١٩) حولية كلية البنات بجامعة عين شمس (أكتوبر/١٩٩٦م) .

(١٧) انظر القلقشندى ، **صبح الأعشى** ،جـ٨ ، ص ٣٣٢ وما بعدها .

(١٨) عماد الدين أبو الفداء . **كتاب تقويم البلدان** (باريس ، ١٨٤٠م) ص ، ١٦٠-١٦١ ؛ القلقشندى ، **صبح الأعشى** ، جـ٨ ، ص١٣٠ .

(١٩) أبو الفداء ، **كتاب تقويم البلدان** ، ص ١٦٠ ، الشاطر بوصيلى عبد الجليل . **معالم تاريخ سودان ووادى النيل** ، ص٦-٧ .

Trimingham , **Islam in Ethiopia** , pp.58-9.

(٢٠) للمزيد من التفصيلات عن مملكة هدية . انظر : أبو الفدا ، كتاب البلدان ، ص١٦٠ وما بعدها ؛ زاهر رياض . **الإسلام فى أثيوبيا فى العصور الوسطى** (القاهرة ، ١٩٦٤م) ص٩٥-٩٧ .

Trimingham , **Islam in Ethiopia** , pp . 60-2 .

(٢١) للمزيد انظر ، إبراهيم طرخان " **الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة**" ص٣٤-٣٧ .

(٢٢) القلقشندى ، **صبح الأعشى** ، جـ٥ ، ص٣٣٤ وما بعدها ، إبراهيم طرخان " الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة ... " ص٣٣ وما بعدها .

(٢٣) انظر القلقشندى ، **صبح الأعشى** ، جـ٥ ، ص٣٣٥ وما بعدها ، إبراهيم طرخان " الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة " ص٣٦-٣٨ .

(٢٤) حمدى السيد . **الصومال قديمًا وحديثًا** ، ص٣٩٤ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس " سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠ - ٩٠٠ هـ ...) ص١٥٣ وما بعدها .

(٢٥) لمزيد من التفصيلات ، انظر . شهاب الدين أحمد بن عبد القادر عرب فقيه . **تحفة الزمان (أو) فتوح الحبشة** . مخطوط نشره مع المقدمة بالفرنسية، رينية باسيه ، وحققه فهيم محمد شلتوت (القاهرة ، ١٣٩٤م) ص٧٥-٧٩ ؛ فتحى غيث . **الإسلام والحبشة عبر التاريخ** (القاهرة ، د.ت) ص٥٣ وما بعدها .

(٢٦) انظر ، عبد الشافى عبد القادر " البحر الأحمر طريق للدعوة الإسلامية " ص٧٩ وما بعدها ؛ يوسف فضل " انتشار الإسلام فى سودان وادى النيل " ، ص٢٧ وما بعدها ؛ السر سيد أحمد العراقى " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية فى أثيوبيا والصومال " ، ص١٦٦ ما بعدها .

(٢٧) الجاحظ ، **التبصر بالتجارة** ، ص٣٣ وما بعدها ، شمس الدين المقدسى . **أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم** . تحقيق دى غوى (ليدن ، ١٨٧٧م) ص٧٩،٩٧ إبراهيم طرخان " الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة " ص٣٨ وما بعدها .

(٢٨) عبد الرحمن زكى . **الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقية** (القاهرة، ١٩٦٥م) ص٧٧ وما بعدها ؛ سيرتوماس أرنولد . **الدعوة إلى الإسلام** ، ص٢٧٨،٣٦٩ وما بعدها .

(٢٩) عبد الرحمن زكى ، الإسلام والمسلمون فى شرق إفريقية ، ص٧٦ وما بعدها ؛ السر سيد أحمد العراقى " الإسلام ومراكز الثقافة الإسلامية فى أثيوبيا والصومال " ص١٦٨وما بعدها .

(٣٠) لمزيد من التفصيلات ، انظر ، حسن أحمد محمود . **الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا** ، ص١٣٤ وما بعدها ، عبد الرحمن زكى . **الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقية** ، ص٧٧ وما بعدها .

(٣١) للمزيد انظر ، شهاب الدين بن فضل الله العمرى . **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار** . تحقيق أحمد زكى باشا (القاهرة ، ١٩٢٤م) جـ١،ص١١-١٢ ؛ انظر كذلك الجزء الثانى من هذا الكتاب الذى لازال مخطوطًا بجامعة الأزهر تحت رقم (٤٤١ / ٦٧٣٥) ، القلقشندى ، **صبح الأعشى** ، جـ٥،ص٣٢٣ وما بعدها .

(٣٢) ابن بطوطة ، **تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأمصار** ، جـ١،ص٦٨، وما بعدها .

(٣٣) ابن فضل الله العمرى / **مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار** ، جـ٢، ورقة ١٨٤ وما بعدها ، ابن بطوطة . **تحفة النظار فى غرائب الأمصار** ، جـ١،ص٢٦٩ وما بعدها .

(٣٤) لمزيد من التفصيلات انظر ، فاضلو حورانى . **العرب والملاحة فى المحيط الهندى** ، ص٥١ وما بعدها ؛ محمد محمد أمين . **تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى** ، ص٣٢ ومابعدها ، غيثان بن على بن جريس . بحوث فى التاريخ والحضارة الإسلامية ، جـ ١ ، ص١١-٣٧ ، للمؤلف نفسه " الهجرات العربية وانتشار الإسلام فى بلاد شرق أفريقية " ص٧١ وما بعدها ، للمؤلف نفسه " الهجرات العربية إلى ساحل شرقى أفريقية فى العصور الوسطى وآثارها الاجتماعية والثقافية ... " ص٩ وما بعدها ، للمؤلف نفسه أيضًا " سلطنة أوفات الإسلامية فى العصور الوسطى (٦٠٠-٩٠٠هـ / ١٢٠٠-١٥٠٠م) ص١٥٣ -١٨٩ .

(٣٥) ابن بطوطة . **تحفة النظار فى غرائب الأمصار** ، جـ١ ، ص٢٦٨ ، المقريزى ، **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** ، ص٢٧ وما بعدها. محمد محمد أمين . **تطور العلاقات العربية الأفريقية فى العصور الوسطى** ، ص٣١ وما بعدها ، غيثان بن على بن جريس " العرب فى مقديشو ... " ص١٢٩ وما بعدها .

(٣٦) ابن بطوطة ، **تحفة النظار فى غرائب الأمصار** ، جـ١ ، ص٢٦٩ وما بعدها .

(٣٧) لمزيد من التفصيلات انظر ، القلقشندى ، **صبح الأعشى** ، جـ٥ ، ص٣٢٣-٣٢٧ ؛ العمرى ، **مسالك الأبصار** ، جـ١ ، ص١٢-١٥ ؛ زاهر رياض. **الإسلام فى أثيوبيا** ، ص٦٤ وما بعدها ؛ عبد المجيد عابدين . **بين الحبشة والعرب** ، ص٢٤٢ وما بعدها .

(٣٨) توماس أرنولد ، **الدعوة الإسلامية** ، ص٨٧ ، وللإطلاع على التفصيلات أكثر انظر ، محمد المعتصم سيد . دول إسلامية شرق أفريقيا (هرر والصومال) ، ص٣٦ وما بعدها، حسن أحمد محمود . **الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا** ، ص٤٢٦ وما بعدها .

(٣٩) انظر ، إبراهيم طرخان ، **الإسلام والممالك الإسلامية بالحبشة فى العصور الوسطى** ، ص٣٧-٤٠ .

(٤٠) الشاطر بوصيلى . **معالم تاريخ السودان ووادى النيل** ، ص٥٣-٥٥، غيثان بن على بن جريس " العرب فى مقديشو ... " ، ص١٣٢ وما بعدها؛ **Trimingham , Islam** pp . 18-21 .

(٤١) ابن بطوطة ، **تحفة النظار فى غرائب الأمصار** ، جـ١ ، ص٢٧٩ وما بعدها .

(٤٢) لمزيد من التفصيلات ، انظر . عبد الرحمن بن خلدون . **مقدمة ابن خلدون** (القاهرة ، ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨) جـ٢ ، ص٥٧١-٥٧٣ ؛ شهاب الدين عرب فقيه ، تحفة الزمان (**فتوح الحبشة**) ، ص١٧-٢٣ .

(٤٣) حمدى السيد . **الصومال قديمًا وحديثًا** ، ص٣١٧ وما بعدها ؛ حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص٢٤٠-٢٤٢ ، صلاح العقاد . **زنجبار** (القاهرة ، ١٩٥٩م) ص٢١-٢٢ ؛ غيثان بن على بن جريس " سلطنة أوفات الإسلامية فى منطقة القرن الأفريقى وعلاقاتها مع العالم الإسلامى خلال العصر الإسلامى الوسيط ... " .

(٤٤) لمزيد من المعلومات ، انظر . شمس الدين الأنصارى الدمشقى . **نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر** (بطرسبورج ، ١٢٨١هـ / ١٨٦٥) ص١٦٢-١٦٣؛ حمدى السيد . **الصومال قديمًا حديثًا** ، ص٣٤٦.

(٤٥) حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص٢٣٩-٢٤٢ .

(٤٦) المسعودى ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، جـ٢ ، ص٧-٩ ؛ المقريزى ، **الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام** ، ص١٣٣-١٣٥ .

(٤٧) عبد القادر شيخ عبد الله . **تاريخ التعليم فى الصومال** (مقديشو ، ١٩٧٨م)، ص١٤ وما بعدها

Freeman & Grenville , **the East African Cost** , pp.39-41
Reusch , **History of East African** , pp.154-41.

(٤٨) حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص٢٤٦ وما بعدها . Marsh & Kingsonrth .**An Introduction to the History of East Africa** (London , 1966) pp.31-4 .

(٤٩) لمزيد من التفصيلات ، انظر . ابن بطوطة . **تحفة النظار** ، جـ١ ، ص٩٣-٩٤،١٠٧،٢٦٨ وما بعدها ؛ حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص٢٤١ وما بعدها .

(٥٠) حسن إبراهيم حسن . **انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية** ، ص٢٤٤ وما بعدها ، Freeman & Grenville **The of East Afican Coast** pp.172-3 ; **History of East Africa** pp.123-129 .

(٥١) شهاب الدين عرب فقيه . **تحفة الزمان (فتوح الحبشة)** ، ص١٧-٢٥ .

(٥٢) Trimingham , **Islam in Ethiopia** pp . 135-7

Marsh & Kingsonorth, **An Introduction to the History of East African,** pp . 23 ff.